موقف بريطانيا من النشاط الروسي في الخليج العربي خلال القرن التاسع عشر

د.صبري فالح الحمدي
الجامعة المستنصرية-كلية التربية

المقدمة :

تعرض الوجود البريطاني في الخليج العربي الى منافسة من القوى الأوربية الاخرى ومنذ وقف مبكر وفي مقدمتهم البرتغاليين والهولنديين والفرنسيين ، واستطاعت بريطانيا عبر صراع طويل سياسي وعسكري استمر قرابة الثلاثة قرون ان تتخلص من منافسة تلك القوى الاوربية، الا ان ذلك لا يعني نهاية للمتاعب التي واجهت بريطانيا، اذ سرعان ما ظهر التغلغل الروسي واضحاً للعيان وشكل تهديداً للمصالح البريطانية في القرن التاسع عشر ، على اثر دخول السفن الروسية مياه الخليج العربي وترددها على موانئ ومدن الساحلين الشرقي والغربي.

ولما كانت الدراسات الاكاديمية لم تتناول موقف بريطانيا من النشاط الروسي في الخليج العربي خلال القرن التاسع عشر ضمن بحوث مستقلة. ارتأى الباحث الخوض في هذا الموضوع على الرغم من ادراكه صعوبة وندرة المصادر التي تغطي هذه المدة من النفوذ الروسي في المنطقة، ومع ذلك فقد تم تسليط الضوء على النشاط الروسي باشكاله المختلفة من سياسي وتجاري وطبي على ما توفر من معلومات وثقتها الدراسة عبر مصادر امكن الوصول اليها كالوثائق الروسية التي تناولها عدد من الاساتذة المختصين، فضلاً عن مصادر اخرى والتي نشرت في مجلة الوثيقة البحرينية، وهذه اماطت اللثام عن جوانب غامضة بخصوص النشاط الروسي في الخليج العربي بالمدة موضوع البحث، وتم الاستعانة بدراسات اخرى والرجوع الى مصادر عربية واجنبية كانت عونا للباحث في متابعة اصول ذلك النشاط وتطوره حتى نهاية القرن التاسع عشر.

ركزت الدراسة على بيان موقف وحرص السلطات البريطانية في الخليج العربي والهند على متابعة التحركات الروسية بوصفها تهدد المصالح البريطانية وفق رؤية المسؤولون هناك، وقد لجأت بريطانيا الى وسائل متعددة لمواجهة النفوذ الروسي الذي تواصل مع نهاية القرن التاسع عشر، تراوحت ما بين التحرك الدبلوماسي لاشعار الروس وشيوخ الامارات بأحقية بريطانية في ادارة شؤون المنطقة وفق المعاهدات الموقعة مع

شيوخها، فضلاً عن استخدام بريطانيا اسلوب التهديد والترهيب مع المبعوثين الروس وتجارهم ورجال الاعمال الذين كانوا يجوبون موانئ الخليج العربي وتذكيرهم ان بريطانيا مصممة على الحيلولة دون السماح لروسيا وغيرها من الدول الاوربية على منافستها في المنطقة وهو ما ستوضحه صفحات الدراسة .

موقف بريطانيا من النشاط الروسي حتى عام ١٨٨٨:

ان توجهات روسيا القيصرية نحو المياه (الدافئة) معروفة تاريخياً وهي نفسها كانت تشكل العامل المحرك الاساسي لسياستها نحو الخليج العربي الذي كانت تريد الوصول اليه عبر الاراضي الفارسية بشكل خاص[١] ، وظل هدفها الوصول الى ميناء تطل من خلاله على مياه الخليج العربي ، وهو امر كان يمثل احد ثوابت سياسة روسيا الخارجية الذي يتقاطع مع وجود الدولة العثمانية وفارس[٢]، فضلاً عن القوى الاوربية المنافسة لها ومنها روسيا موضوع البحث.

كان من الطبيعي ان تقف بريطانيا معارضة للتوجهات الروسية الرامية الى مد نفوذها في الخليج العربي بوصفها القوة الوحيدة المهيمنة على المنطقة ، بعد خروجها قوية من صراعها مع القوى القبلية العربية التي ظلت تقاوم النفوذ البريطاني سنوات طويلة، ومنذ وقت مبكر اشارت المصادر التأريخية الى وجود مخاوف بريطانية من روسيا بعد ما اشيع في العالم ما زعم انها وصية بطرس الكبير (١٦٨٩-١٧٢٥) والتي قيل انه ورد فيها : "اعلموا ان تجارة الهند انما هي تجارة العالم وان من يستحوذ عليها دون غيره يصبح سيد اوربا فلا تضيعوا فرصة لاثارة الحرب على الدولة الفارسية وتعجيل اضمحلالها والتقدم في الخليج الفارسي والعمل على احياء تجارة الشرق القديمة عبر بلاد الشام" [٣] .

ومنذ زمن طويل كانت السلطات البريطانية في الهند وطيلة القرن الثامن عشر تحرص على تأمين مواصلاتها البحرية مع شبه القارة الهندية وتقوية مركز احتكاراتها في

١- عبد الجبار عطيوي جاسم، ملاحظات حول تغلغل اساليب النفوذ الاوربي في الخليج العربي قبل الحرب العالمية الاولى، مجلة الخليج العربي، مركز دراسات الخليج العربي ، جامعة البصرة ، العدد ١٠، ١٩٧٨، ص٤٣ .

2-Johns, Hopkins ; The (Persian) Gulf States , London , 1981 , p.42 .

٣- ينظر عباس ياسر الزيدي ، القوى الاستعمارية والخليج العربي ١٦٠٠-١٩١٤ ، مجلة المؤرخ العربي ، الامانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب، بغداد ، العدد ١٢ ، ١٩٨٠ ، ص٤٣٢ .

المنطقة والوقوف في وجه محاولات التدخل لبقية الدول الاوربية[١]، تنظر بعين القلق الى تسلل النفوذ الروسي الى فارس ، غير ان هذا النفوذ كان يتمثل في ممارسة بريطانيا الضغط على الشاه، ومن ثم توجيه سياسته توجيهاً معيناً يصب في مصالحها المتزايدة في عموم المنطقة[٢] .

وفي الواقع فان المخاوف البريطانية من تنامي النشاط الروسي في الخليج العربي خلال القرن التاسع عشر كانت جدية ، ذلك ان المخططات البريطانية في المنطقة واجهت عقبات وبخاصة في العقود الاخيرة من القرن المذكور، ارتبطت باهتمام الدول الاوربية بالخليج العربي من المنطلقات نفسها التي كانت تحرك البريطانيون للاهتمام المتزايد به ومنها روسيا بوصفها اقرب دولة اوربية من المنطقة جغرافياً ونتيجة اهتماماتها الكبيرة بفارس[٣].

ظل القلق يساور السلطات البريطانية من التغلغل الروسي في الخليج العربي وامتداد نفوذ القياصرة الى شواطئه ، اذ يمكن اعتبار هذه الحقبة فترة سادتها المخاوف البريطانية من توسع روسيا الذي كان يهدد تجارة بريطانيا في المحيط الهندي لينقلب بعد ذلك الى تهديدها في ممتلكاتها في الهند ، ناهيك عن ان روسيا كانت تعبر عن رغبتها الهادفة الى ان يكون لها منفذ بحري على الخليج العربي ومد حركاتها الملاحية فيه[٤].

ومن الجدير بالذكر ان بريطانيا كانت قد تمكنت من تثبيت مواقعها في مناطق الخليج العربي بموجب اتفاقيات عقدتها مع شيوخ المنطقة ، منها على سبيل المثال لا الحصر الاتفاقية الموقعة مع سلطان عمان عام ١٨٧٣ والاخرى الموقعة مع شيخ البحرين عام ١٨٨٠[٥] .

١- نوري عبد البخيت، الصراع بين روسيا وبريطانيا حول فارس والخليج العربي في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، مجلة الخليج العربي، العدد ٦ ، ١٩٧٦ ، ص٥٩-٦٠ .

٢- ينظر : صلاح العقاد، التيارات السياسية في الخليج العربي، القاهرة، مكتبة الانجلو المصرية، ط١ ، ١٩٦٥ ، ص٢٢٣.

٣- عبد الجبار عطيوي جاسم ، المصدر السابق ، ص٤٣ .

٤- مصطفى عبد القادر النجار ، العلاقات الدولية لروسيا والاتحاد السوفيتي والخليج العربي ، مجلة الخليج العربي ، العدد ٢ ، ١٩٧٥ ، ص٩٩ .

٥- يفجيني سيدوروف ، تأريخ العلاقات السياسية والدبلوماسية الروسية بدول المنطقة ، مجلة الوثيقة، البحرين، مركز الوثائق التأريخية ، العدد ٣٢ ، السنة ١٦ ، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، ص٦٤.

ومع ذلك تابعت السلطات البريطانية في الخليج العربي كل تحركات الروس افرادا وجماعات وسفنا بدقة متناهية[١] ، ووصول الكثير من الدبلوماسيين والاطباء والرحالة الروس هناك[٢] ، ومما يعزز ذلك ما اشار اليه اللورد نورث بروك North Brook) نائب الملك في الهند واحد كبار رجال الاستعمار البريطاني في اعرابه عن قلق بلاده من مخاطر ازدياد النفوذ الروسي بالمنطقة برسالة كتبها من الهند في العشرين من آذار ١٨٧٦ الى وزارة الخارجية البريطانية جاء فيها . "يجب ان نعتبر اي امتداد للمناطق الروسية جنوب الخليج العربي او اي حماية روسية لسواحل ذلك الخليج خطرا مباشرا على الهند وهذا بحد ذاته كاف – حسب ما اعتقد – لاجل استعمال القوة للمحافظة على سيادتنا الحالية في الخليج العربي" [٣].

وعلى اثر تصاعد النشاط الدبلوماسي الروسي الذي اتضح عقب تولي (بيوتر بونافيدين) مهام عمله قنصلا لبلاده في بغداد عام ١٨٨٦ بعد مروره بالعديد من موانئ الخليج العربي ، واعلانه حدوث تطور في عمل قنصليته وفقاً لما اوردته الوثائق الروسية[٤]، فقد اثار ذلك بريطانيا لخشيتها على مصالحها هناك ، والتي عبرت عنها الرسالة التي بعثت بها وزارة الهند الى وزارة الخارجية البريطانية في الخامس من آذار ١٨٨٧، اذ اكد اللورد كروسLord Cross) على تبني السياسة البريطانية للنقاط الاتية[٥] :

١- عدم السماح لأية قوة اجنبية لمنافسة الافضلية البريطانية في جنوب ايران .

١- عبد العزيز عبد الغني ابراهيم ، السلام البريطاني في الخليج العربي ١٨٩٩-١٩٤٧ دراسة وثائقية ، الرياض، دار المريخ، ط١، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م ، ص٨٠ .

٢- لمزيد من التفاصيل ينظر : الفيرافاراخوفا ، المراسلات الدبلوماسية والمراسلات الشخصية المتعلقة بمسقط من خلال الوثائق التأريخية بارشيف السياسة الخارجية لامبراطورية روسيا في موسكو لعام ١٩٠٢-١٩٠٥، مجلة الوثيقة ، العدد ٤٦ ، السنة ٢٣، جمادى الاولى ١٤٢٥هـ/يوليو (تموز) ٢٠٠٤م، ص١٠٦ .

٣- ج.ج. لوريمر، دليل الخليج، القسم التأريخي، ط١، ترجمة ديوان امير قطر، الدوحة(د.ت)، ص٩٧ - ٩٨ .

٤- لمزيد من التفاصيل ينظر الفيرافاراخوفا، المصدر السابق ، ص١٣٢-١٣٤ .

٥- محمود علي الداود ، محاضرات عن الخليج العربي والعلاقات الدولية ١٨٩٠-١٩١٤ ، القاهرة، معهد الدراسات العربية العالية ، ١٩٦١ ، ص٢٦-٢٧ .

٢- توسيع نطاق التجارة البريطانية مع ايران لمنافسة الاحتكارات الروسية .

٣- السعي للحصول على امتيازات لمد سكة حديد بين طهران والاحواز .

٤- اقناع الشاه باهمية فتح نهر كارون للملاحة البريطانية .

وعلى الرغم من هذا النشاط المتزايد من جانب الروس فانهم لم يفصحوا في بداية الأمر عن نواياهم الحقيقية ، فتظاهروا بالسعي لفتح اسواق للسلع الروسية ، غير انهم سرعان ما اماطوا اللثام عن اغراضهم الحقيقية عندما اخذوا يناهضون النفوذ البريطاني ويعلنون رفضهم الاعتراف بالافضلية البريطانية في منطقة الخليج العربي باعتبارها منطقة دولية[١] ، لذلك فلا غرابة ان تعمد بريطانيا الى مناوءة النشاط الروسي والحد من خطورته ومن ثم زادوا من عمليات مسح المنطقة ومد الخطوط البرقية والحديدية[٢] .

موقف بريطانيا من النشاط الروسي في عمان والكويت والمحمرة:

جذبت عمان اهتمام الروس بحكم موقعها في مدخل الخليج العربي، لكن القلق البريطاني استمر على وتيرة متصاعدة خلال تسعينيات القرن التاسع عشر ، وخاصة ان روسيا دخلت بتحالف مع فرنسا عام ١٨٩٢، ولعل اهم الامور التي ترتبت على ذلك التحالف في المنطقة هو المظاهرة الروسية – الفرنسية البحرية الكبرى التي شهدتها المياه العمانية ، التي تعبر عن رغبة الحليفين باضعاف الوجود البريطاني في عمان، في وقت كان فيه فيصل بن تركي (١٨٨٨-١٩١٣) امام عمان مصرا على رفض التحالف مع روسيا ، الأمر الذي يشكل عاملا مساعدا لدعم الموقف البريطاني المناهض للتغلغل الروسي في الخليج العربي[٣] .

ومن الضروري التذكير ان كرزون[٤] (Curzon) نائب الملك في الهند قد تنبأ بالخطر الروسي على مصالح بريطانيا منذ ذلك الوقت ، وصرح في كتابه المعنون (فارس

١- بدر الدين عباس الخصوصي، دراسات في تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر، جـ٢، الكويت ، منشورات ذات السلاسل (د.ت)، ص١٥٣ .

٢- المؤلف نفسه ، الخليج العربي والمطامع الاستعمارية ، مجلة كلية الآداب والتربية ، العددان الثالث والرابع، جامعة الكويت، حزيران (يونيو) ١٩٧٣- جمادى الاولى ١٣٩٣ ، كانون الاول (ديسمبر) ١٩٧٣- ذو القعدة ١٣٩٣ ، ص٢٤٦ .

٣- مصطفى عبد القادر النجار، دراسات في تأريخ الخليج العربي المعاصر ، القاهرة ، معهد البحوث والدراسات العربية ، ١٩٧٧ ، ص٧ .

٢- واسمه جورج ناثينال كرزن . لمزيد من المعلومات عن نشأته وحياته السياسية ينظر:

والمسألة الفارسية Persia and the Persian Question) الذي نشره عام ١٨٩٢ قائلاً : "بان انشاء ميناء روسي على الخليج العربي هو حلم الوطنيين المتحمسين من اهل الفولكا ولكن مثل هذا الميناء سيكون عنصر اضطراب في الخليج حتى في وقت السلم وسيفسد توازن القوى الذي وضعته بريطانيا بعد مجهود شاق"، واضاف قائلا "ان اي وزير بريطاني يقبل التخلي لروسيا عن ميناء على ساحل الخليج خائن لبلاده"[١].

اما موقف بريطانيا من النشاط الروسي في الكويت ، فان المعلومات التي اوردتها المصادر البريطانية تشير ان جهاتها الرسمية كانت لا ترى من الضروري فرض حمايتها على الكويت بناء على طلب الشيخ مبارك الصباح، غير ان تصاعد النشاط الروسي في المنطقة عام ١٨٩٨ والمتمثل بظهور مشروع كابنست[٢] المتضمن مد سكة حديد من سواحل البحر المتوسط الى الخليج العربي حيث ينتهي عند الكويت ، هو الذي حفز بريطانيا ودفعها الى الاسراع في اعادة النظر بموقفها ولتتخذ اجراءات من شأنها مجابهة ما سمته بالخطر الروسي على الكويت، ومن ثم عقدها لاتفاقية[٣] عام ١٨٩٩ مع الاخيرة، التي نصت احدى موادها على عدم استقبال شيخ الكويت لممثل اي دولة اجنبية بدون موافقة بريطانيا[٤] بعد ان كانت تتلكأ في اقرارها من قبل[٥] ربما لرغبتها في تجنب اثارة الدولة العثمانية صاحبة السيادة الاسمية على الكويت، وكان هناك سبب يدعو للشك ان الروس كانوا يرغبون في تأسيس ميناء او محطة فحم هناك[٦].

ومن الوسائل التي لجأت اليها بريطانيا للوقوف ضد التوسع الروسي هو في تحسبها من احتمال تقدم الروس الى جنوب فارس وتزايد قلقها سوءا بعد عام ١٨٩٠ ، وقد

Earl of Ronaldshay ; The Life of Lord Curzon , 2 Vol., London , 1928 .

3-Curzon; Persia and the Persian Question , Vol. II , London , 1892 , p. 465.

٢- سنتحدث عن مشروع كابنست للسكة الحديد في الصفحات القادمة .

٣- لمزيد من التفاصيل عن بنود الاتفاقية الكويتية – البريطانية عام ١٨٩٩ ينظر :

C.U. Aitchison ; A Collection of Treaties Engagements and Sands, Vol. XI, Delhi, 1933 , p. 202.

2- David Dillk ; Curzon in India , Vol. I , London , 1964 , p. 117.

٥- ارنولدت . ويلسون ، الخليج العربي ، نقله الى العربية وقدم له د. عبد القادر يوسف ، الكويت ، مكتبة الامل (د.ت) ص٤٠٤ .

2- Rolandshay ; Op. Cit., Vol. II , p. 310 .

حاولت السفارة البريطانية في طهران تحذير الشاه من خطر روسيا على بلاده، كما حاولت اظهار بريطانيا في موقف المدافع عن سيادة الدولة الفارسية ، وصرح السفير البريطاني بان بلاده لا تؤيد تقسيم فارس وليست على استعداد لقبول فكرة تصفية امبراطوريتها التي كان الروس يؤيدونها[١] .

وعلى صعيد الاجراءات العملية، لجأت بريطانيا الى تدعيم نفوذها في جنوب فارس عن طريق تشجيع العشائر وخاصة البختارية على الانفصال وتزويدهم بالأسلحة، وينطبق ذلك ايضا على امارة المحمرة فان اميرها العربي في ذلك الوقت هو الشيخ خزعل (١٨٩٧-١٩٢٥) كان ينزع الى الأستقلال فيمكن حمايته ضد الشاه ، كما حمت بريطانيا الكويت ضد العثمانيين، وقد طلب الشيخ خزعل فعلاً عقد معاهدة مع بريطانيا على اسس معاهدة الكويت لعام ١٨٩٩، غير ان بريطانيا اعطت المحمرة ضمانات اقل من تلك التي اعطتها للكويت من قبل ، فتعهدت بحماية الأمارة ضد العدوان الخارجي طالما ظل شيخها يتصرف طبقاً لتعليمات الحكومة البريطانية[٢]، لكنها استمرت حريصة على مناوءة النشاط الروسي والحد من خطورته صوب المحمرة لمواجهة التقدم الروسي في فارس ، كما اثيرت حملة محمومة في البرلمان البريطاني وكثرت تصريحات المسؤولين البريطانيين بشأن خطورة التغلغل الروسي نحو الخليج العربي[٣].

يتبين لنا من العرض السابق ان سياسة بريطانيا اصبحت في نهاية القرن التاسع عشر لا تكتف بمراقبة النشاط الروسي في الخليج العربي، بل راحت تعمل على مواجهة تلك الانشطة بشكل مباشر، عن طريق ممارسة الضغوط على شيوخ المنطقة لجعل سياستهم تتماشى مع المصالح البريطانية وحثهم على الابتعاد عن اقامة العلاقات مع روسيا .

موقف بريطانيا من المحاولات الروسية اقامة قواعد بحرية في الخليج العربي:

لما كانت السلطات البريطانية تعد الخليج العربي منطقة نفوذ بريطانية ينبغي الحفاظ عليها ، لذلك فان اقدام روسيا على انشاء قاعدة بحرية لها هناك يمثل تهديداً لمصالحها في المنطقة ، لذلك سارعت بريطانيا الى اتخاذ اجراءات مضادة من شأنها

١- ينظر : محمود علي الداود ، المصدر السابق ، ص٦٤ .

٢- صلاح العقاد ، المصدر السابق ، ص٢٢٤ .

٣- بدر الدين عباس الخصوصي ، الخليج العربي والمطامع الاستعمارية ، ص٢٤٦ .

اضعاف النفوذ الروسي والعمل على منع توسعه[١]، وفي مقدمة تلك الاجراءات هو في الابقاء على قوة بحرية كبيرة في مياه الخليج العربي حتى يتسنى لها التصدي للتحركات الروسية وافشالها[٢] .

من جانب آخر ظلت بريطانيا تراقب عن كثب النشاط الروسي الهادف لاحكام سيطرته على مناطق تحتل اهمية جغرافية ومكانة تجارية لاتخاذها قواعد بحرية لسفنهم العاملة هناك، وذكرت المصادر البريطانية الى رغبة روسيا تأسيس قاعدة بحرية في بندر عباس متظاهرة في اتخاذها مركزا صحيا عام ١٨٩٦[٣]، فيما كانت السلطات البريطانية تتابع ما كان يقوم به الدكتور شفونسكي (Chevonowsky) عام ١٨٩٨ من تطبيب في بوشهر الواقعة في الساحل الشرقي من الخليج العربي ورأت انه كان يسأل مرضاه في اوضاعهم المحلية[٤].

والملاحظ على طبيعة التوجهات الروسية في اتباعها سياسة ترتكز على عدم اثارة السلطات البريطانية في المنطقة ازاء تنوع انشطتها وتطورها اواخر القرن التاسع عشر، فحينما كانت الأخيرة تحتج على زيارة قطع الاسطول الروسي الى موانئ الساحل الشرقي من الخليج العربي ، كان قنصل روسيا في اصفهان يرد بان تلك الزيارات ليس لها اي طابع عسكري، الا ان المقيم البريطاني هناك حذر حكومته ان ذلك النشاط يخفي بين طياته التخطيط لاقتطاع بندر عباس من بريطانيا وتحويلها الى قاعدة روسية ، على اثر نشر صحيفة فيدوموستي (Viedomosti) مقالة في الثاني من شباط ١٨٩٩ طالبت فيها الحكومة الروسية ضرورة فرض هيمنتها على ميناء بندر عباس وجعله قاعدة بحرية يمكن ان تسهم في تسهيل نقل البضائع الروسية الى مدن الخليج العربي ، الامر الذي ادى الى قيام معارضة شديدة في بريطانيا لمحاولات روسيا ضم بندر عباس الى مناطق نفوذها حتى راح ساستهم يرسمون الخطط لمواجهة التقدم الروسي ويدرسون الاحتمالات المختلفة في حالة نشوب حرب مع روسيا، وتقرر بشكل نهائي ارسال الاسطول البريطاني المرابط

1-Ravinder, Kumar ; India and the (Persian) Gulf Region (1858-1907) India , 1965, p. 218 .

2- Percy Sykes ; History of Persia , Vol. 2 , Third Edition , London , 1930 , p. 465 .

3- H.J. Whigham ; The Persian Problem , London , 1903, p. 56 .

٤- عبد العزيز عبد الغني ابراهيم ، المصدر السابق ، ٨٠ .

في المحيط الهندي الى موانئ الساحل الشرقي ليكون على اهبة الاستعداد لضرب تلك الموانئ وقطع الطريق على روسيا في حصولها على منفذ الى الخليج العربي[١] .

وعلى كل حال فان المساعي الروسية امتدت للرغبة في السيطرة على الجزر الواقعة في الخليج العربي لاتخاذها قواعد بحرية للسفن الروسية العاملة، وتزامن ذلك عقب نشوب حرب البوير[٢] عام ١٨٩٩ بفترة قصيرة ، اذ نوهت الصحف العثمانية الصادرة في القسطنطينية عن وجود مشاريع روسية تستهدف السيطرة على جزيرة قشم الواقعة في الخليج العربي للوقوف ضد الهيمنة البريطانية على مقدرات المنطقة عن طريق اتفاقها في الخامس عشر من آذار ١٨٩٩ مع مظفر الدين شاه (١٨٩٦-١٩٠٥) حاكم فارس القاجاري الذي كان يعاني من مصاعب اقتصادية ، لكن مورايف (Mouraieff) وزير الخارجية الروسي (١٨٩٧-١٩٠٠) نفى الاتهامات البريطانية في السادس والعشرين من نيسان ١٨٩٩، مؤكداً ان ليس لبلاده اطماع في هذه الجزيرة او غيرها من مناطق الخليج العربي[٣].

ومع ذلك استمرت الحكومة البريطانية في موقفها المعارض للتغلغل الروسي حتى ان السفير البريطاني في القسطنطينية كتب الى حكومته في آب ١٨٩٩ مذكراً اياها بنوايا روسيا القيصرية بهذا الشأن[٤]، مما يشير الى رغبة بريطانيا في التصدي للمخططات الروسية والعمل على افشالها ، لكن حكومة لندن لم تستطع وقتذاك من اتخاذ موقف حازم لمواجهة تلك الاخطار بسبب انشغال بريطانيا بمشاكلها الدولية، الأمر الذي دفعها الى

١- علي ابا حسين ، ب.ك. نارين ، لمحة في بعض الوثائق التأريخية حول العوامل المؤثرة على المصالح الاقتصادية البريطانية في الخليج العربي ، مجلة الوثيقة ، العدد ١٣ ، السنة ٧ ، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م ، ص٢٢ ؛ مصطفى عبد القادر النجار ، دراسات ، ص٧٥-٧٦ .

٢- حرب البوير (١٨٩٩-١٩٠٢) : وهي الحرب التي خاضتها بريطانيا ضد البوير (وهم سلالة المستوطنون الهولنديون في جنوب افريقيا) بسبب استيائهم من سياسة شامبرلن الاستعمارية ، وانتهت بانتصار القوات البريطانية بقيادة كتشنر . لمزيد من التفاصيل ينظر : آلان بالمر ، موسوعة التأريخ الحديث ١٧٨٩-١٩٤٥، جـ١ ، ترجمة سوسن فيصل السامر، يوسف محمد امين ، دار المأمون للترجمة والنشر ، بغداد ، ١٩٩٢، ص١١٩-١٢٠ .

3- Briton Cooper , Busch ; Britain and the (Persian) Gulf (1894-1914) University California Press, p. 110,121 .

٤- ينظر نوري عبد البخيت ، المصدر السابق ، ص٦ .

اتباع سياسة حذرة تجاه روسيا تجنباً من رد فعل روسي قد يشكل عامل ضغط لا تستطيع بريطانيا مواجهته بسبب دخولها حرب البوير في افريقيا[١] .

وهكذا نلمس حرص بريطانيا الواضح للحيلولة دون حصول روسيا على قاعدة بحرية لها في مناطق الخليج العربي ، لادراكها ما سيؤديه ذلك من نتائج سلبية تنعكس على فقدان بريطانيا مكانتها ازاء شيوخ المنطقة ، ويفتح الباب على مصراعيه امام روسيا لاداء دور ملحوظ في احداث الخليج العربي وتطوراته التي اصبحت تمثل منطقة استقطاب لصراع القوى الدولية اواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين .

موقف بريطانيا من مشاريع سكة الحديد الروسية:

واجهت المخططات البريطانية في الخليج العربي عقبات كثيرة بالعقود الاخيرة من القرن التاسع عشر ارتبطت باهتمام الدول الاوربية بالمنطقة من نفس المنطلقات التي كانت تحرك البريطانيون للاهتمام المتزايد بها ، ومنها روسيا بحكم كونها اقرب دولة اوربية من المنطقة جغرافياً ونتيجة اهتماماتها الكبيرة بفارس[٢]، وايضاً علاقاتها مع الدولة العثمانية التي جعلت منها شريكاً سياسياً في احداث الخليج العربي[٣].

سارعت بريطانيا للوقوف امام التغلغل الروسي بالوسائل المتاحة عبر توثيق صلاتها مع حكام فارس ، وتوافقاً مع هذه التوجهات عملت بريطانيا على عقد اتفاق مع ناصر الدين شاه (١٨٤٨-١٨٩٦) لأنشاء سكة حديد تمتد من طهران الى الخليج العربي، لكن روسيا حالت دون تحقيق بريطانيا لاهدافها بعقدها في العام نفسه اتفاقاً مع السلطات الفارسية تضمن عدم اعطاء اية دولة الحق في انشاء سكة حديد لمدة عشرة اعوام[٤] .

شهد منتصف عقد التسعينيات من القرن التاسع عشر تصاعد مقاومة بريطانيا للمشاريع الروسية ذات الصلة بخطوط سكة الحديد ، فعندما علم روبرت موريه Sir Robert Morier السفير البريطاني في موسكو بنوايا الروس لأجل الحصول على

١- روبرت جيران لاندن ، عمان منذ عام ١٨٥٦ مسيرا ومصيرا ، ترجمة محمد امين عبد الله ، سلطنة عمان ، ١٩٨٣ ، ص٣١٧ .

٢- عبد الجبار عطيوي جاسم ، المصدر السابق ، ص٤٣ .

4-Yu. Petrosyan ; The Ottoman Empire and Russia in the Nineteenth Century , Al-Watheekat , Issue No. 50 , 25 the year , Jumada II 1427, Jul. 2006, p. 168 .

٤- ينظر ناظم يونس الراوي ، التأريخ السياسي لامتيازات النفط في إيران (١٩٠١-١٩٥١) اطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية التربية ، الجامعة المستنصرية ، ١٩٩٩ ، ص١٧ .

امتياز من الشاه لبناء سكة حديد بين رشت الى طهران والخليج العربي ، اكد ان حكومته تعتبر اي سكة حديد تمتد الى الجنوب هي سكة حديد استراتيجية ذات اهداف خطيرة وتهدد القواعد العسكرية والبحرية البريطانية في الخليج العربي ، موضحا ان اي مشروع من هذا النوع يجب ان يكون دوليا اي يسهل تجارة روسيا مع الشرق الاقصى وكذلك تجارة الهند البريطانية مع فارس وروسيا، ولكن السفير الروسي رفض الفكرة على اساس ان بلاده تعارض تقسيم ايران الى مناطق نفوذ شمالية وجنوبية[١] .

والواقع ان بريطانيا اخذت تقدر اثر المنافسة الروسية على استمرار مصالحها في الخليج العربي منذ ان وضع فلاديمير كابنست Voladimir Kupnist) رجل الاعمال مشروعاً عام ١٨٩٨ لانشاء خط سكة حديد يصل بين حوض البحر المتوسط والخليج العربي بعد حصوله على موافقة الدولة العثمانية لمشروعه[٢]، وتزامن ذلك التطور مع جهود روسية حثيثة للحصول على ميناء في المنطقة ، وهي ترمي من وراء نشاطها الى ربط ذلك الميناء بخط حديدي يمتد من طهران الى بوشهر عن طريق اصفهان وشيراز، وقد اعترضت الصحف البريطانية على ذلك مؤكدة ان فكرة استخدام روسيا لخط حديدي يمر من هرات وبلوخستان ويصل الى احد موانئ الخليج العربي يعني ان الروس يرومون جعل الأخير طريقاً بحرياً الى الهند[٣] .

ادرك كرزن بعد توليه منصب نائب الملك في الهند عام ١٨٩٨ ضرورة العمل على افشال مشروع كابنست الهادف الى جعل الكويت نهاية لسكة الحديد المقترحة ، اذ شهدت سنوات نهاية العقد الأخير من القرن التاسع عشر حدوث تنافس بريطاني – روسي في محاولة كل طرف فرض سيطرته على الكويت ، ومع ان البريطانيون رفضوا غير مرة طلبات الشيخ مبارك الصباح لحمايتهم من التهديد العثماني ، لكن اشاعات سرت عام ١٨٩٨ مفادها ان الروس ينوون تحقيق مشروع سكة الحديد المذكور ، فانعكس ذلك بشكل مباشر في تغيير الموقف البريطاني ، اذ تم في الاشهر الاخيرة من القرن التاسع عشر عقد اتفاق رسمي بين الشيخ والسلطات البريطانية ، الزم فيها الشيخ برفض جميع

١- نقلاً عن محمود علي الداود ، المصدر السابق ، ص٦٥-٦٦ .

3- Ravinder, Kumar ; Op. Cit., p.141-142 .

٣- لمزيد من التفاصيل ينظر : جمال زكريا قاسم ، الخليج العربي دراسة لتاريخ الامارات العربية ١٨٤٠-١٩١٤، الكويت ، ١٩٧٤، ص٣٩٣-٣٩٤.

الامتيازات الاجنبية[١] مقابل تقديم بريطانيا مبلغاً سنوياً مقداره (١٥٠٠) روبية[٢] الى شيخ الكويت[٣] .

وفي محاولتنا استقصاء طبيعة الرأي السائد في بريطانيا بخصوص جدية مشاريع سكة الحديد الروسية والموقف البريطاني منها ، يلاحظ ان الاعتقاد السائد لدى جانب كبير من البريطانيين كان قويا بعدم امكانية روسيا في محاولاتها انشاء سكة حديد في الاراضي الفارسية الجنوبية صوب الخليج العربي، فضلا عن وعورة الاراضي التي ينبغي ان يجتازها خط حديدي من هذا النوع ، فان عملية القيام به ستكلف روسيا نفقات مالية كبيرة[٤] .

يمكن القول على ضوء استعراض موقف بريطانيا من مشاريع سكة الحديد الروسية الذي وثقته السطور السابقة انه مع وجود رأي داخل بريطانيا يطالب بوجوب قيام بريطانيا بالوقوف الى جانب روسيا ومساندتها لكي تتمكن من ايقاف الزحف الالماني نحو منطقة الخليج العربي ، غير ان الاتجاه الآخر لدى الرأي العام البريطاني وكبار المسؤولين الرسميين كان يرى وجوب مزاولة الضغط على فارس وتحذيرها من مغبة التنازل لروسيا عن اي ميناء في المنطقة ، اذ ان تنازل اي دولة لروسيا عن ثغر من ثغور الخليج العربي يعد اهانة متعمدة لبريطانيا واستفزازاً لاشعال نار حرب دولية[٥] .

الخاتمة:

يمكننا ان نستخلص جملة حقائق من ثنايا البحث لعل اهمها :

اولاً : لما كانت بريطانيا قد سبقت الدول الاوربية الاخرى الوصول الى الخليج العربي بعدة قرون بدليل انشاء شركة الهند الشرقية الانكليزية قواعد لها ومنذ القرن السابع عشر هناك، بينما بدأت روسيا في ارسال سفنها اواخر القرن التاسع عشر، ثم اخذت بعقد الاتفاقيات مع فرنسا عام ١٨٩٢ ومن ثم مع الدولة العثمانية والمانيا ضد بريطانيا ،

١- ستيفن هيمسلي لونكريك ، اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث ، ترجمة جعفر الخياط ، مطبعة المعارف ، بغداد ، ١٩٦٨ ، ص٣٦٥ .

٢- الروبية : عملة هندية كانت تساوي شلن وست بنسات .

٣- سيد نوفل، الخليج العربي او الحدود الشرقية للوطن العربي ، بيروت ، ١٩٦٩ ، ص١٦٦ .

٤- بدر الدين عباس الخصوصي، النشاط الروسي في الخليج العربي (١٨٨٧-١٩٠٧) مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، جامعة الكويت، العدد ١٨، السنة ٥، نيسان (ابريل) ١٩٧٩ – ربيع الثاني ١٣٩٩، ص١١٦.

٥- المصدر نفسه .

لذلك كان من الطبيعي ان يبرز التفوق البريطاني واضحا عبر تحرك السفن الحربية والقيام بالمناورات البحرية، فضلاً عن النشاط الدبلوماسي والتي اثمرت في منع روسيا من تأسيس قواعد لها في موانئ الخليج العربي ومدنه، وما تركه الانفراد البريطاني من تأثير على السكان من جانب، الذين باتوا يؤمنون بالسيطرة البريطانية دون سواها من الدول الاخرى ومنها روسيا موضوع البحث، لاعتقادهم بعدم وجود قوة اخرى تنافسها، وعلى الجانب الآخر انعكس ذلك التأثير على مواقف الشيوخ الذين ابدوا تاييدهم للسياسة البريطانية بدليل امتناع شيخ الكويت عن عقد اية اتفاقيات مع روسيا .

ثانياً : واذا تناولنا حقيقة النشاط الروسي ومخاطره على الوجود البريطاني في الخليج العربي نلحظ ان المصادر البريطانية بالغت بوصف التقدم الروسي انه كان خطيرا للدرجة التي اخذ بها يهدد مركز بريطانيا في الخليج العربي والهند، فقد لمس الباحث ان هناك مبالغات كبيرة قصد بها في الواقع توجيه اهتمام الحكومة البريطانية لخطر النشاط الروسي في الخليج العربي، وعلى الرغم من الاعتراف بعد روسيا اهم منافس لبريطانيا على مناطق النفوذ هناك في السنوات الاخيرة من القرن التاسع عشر، لكن الحقيقة التي يمكن تاكيدها تتمثل في ان المتتبع للنشاط الروسي بالمنطقة يتضح له بجلاء ان الأمر لم يكن ليستدعي كل هذا الاهتمام والاسراف في المبالغة التي كانت لا ترقى الى مستوى الخطر الفعلي الذي يهدد المصالح البريطانية في عموم منطقة الخليج العربي .

قائمة المصادر

اولاً : الوثائق المنشورة

- C.U. Aitchison ; A Collection of Treaties Engagements and Sands , Vol. XI , Delhi , 1933 .

ثانياً : الرسائل الجامعية

- ناظم يونس الراوي ، التأريخ السياسي لامتيازات النفط في ايران (١٩٠١-١٩٥١) اطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية التربية ، الجامعة المستنصرية ، ١٩٩٩ .

ثالثاً : الكتب العربية والمعربة

- ارنولد ت. ويلسون ، الخليج العربي ، نقله الى العربية وقدم له د. عبد القادر يوسف ، الكويت ، مكتبة الامل (د.ت).

- آلان بالمر ، موسوعة التأريخ الحديث ١٧٨٩-١٩٤٥، جـ١ ، ترجمة سوسن فيصل السامر، يوسف محمد امين ، دار المأمون للترجمة والنشر ، بغداد ، ١٩٩٢.
- بدر الدين عباس الخصوصي ، دراسات في تأريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر ، جـ٢ ، الكويت ، منشورات ذات السلاسل (د.ت) .
- ج.ج لوريمر ، دليل الخليج ، القسم التأريخي ، جـ١، ترجمة ديوان امير قطر، الدوحة (د.ت) .
- جمال زكريا قاسم ، الخليج العربي دراسة لتأريخ الامارات العربية ١٨٤٠-١٩١٤، الكويت ، ١٩٧٤ .
- روبرت جيران لاندن ، عمان منذ عام ١٨٥٦ مسيرا ومصيرا ، ترجمة محمد امين عبد الله ، سلطنة عمان ، ١٩٨٣ .
- ستيفن هيمسلي لونكريك ، اربعة قرون من تأريخ العراق الحديث ، ترجمة جعفر الخياط، مطبعة المعارف ، بغداد ، ١٩٦٨ .
- سيد نوفل، الخليج العربي او الحدود الشرقية للوطن العربي ، بيروت ، ١٩٦٩ .
- صلاح العقاد ، التيارات السياسية في الخليج العربي ، القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية، ط١ ، ١٩٦٥ .
- عبد العزيز عبد الغني ابراهيم ، السلام البريطاني في الخليج العربي ١٨٩٩-١٩٤٧ دراسة وثائقية ، الرياض ، دار المريخ ، ط١ ، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م .
- محمود علي الداود ، محاضرات عن الخليج العربي والعلاقات الدولية ١٨٩٠-١٩١٤، القاهرة ، معهد الدراسات العربية العالية ، ١٩٦١ .
- مصطفى عبد القادر النجار ، دراسات في تأريخ الخليج العربي المعاصر ، القاهرة ، معهد البحوث والدراسات العربية ، ١٩٧٧ .

رابعاً : الكتب الاجنبية

- Briton Cooper , Busch; Britain and the (Persian) Gulf (1894-1914) University California Press .
- Curzon ; Persia and the Persian Question , Vol. II, London , 1892 .
- David Dillk ; Curzon in India , Vol. I , London , 1964 .
- Earl of Ronaldshay; The Life of Lord Curzon , 2 Vol., London , 1928 .
- H.J. Whigham ; The Persian Problem , London , 1903 .

- Johns , Hopkins ; The (Persian) Gulf States , London , 1981 .
- Percy Sykes ; History of Persia, Vol. 2 , Third Edition , London , 1930 .
- Ravinder, Kumar; India and the (Persian) Gulf Region (1858-1907) India, 1965 .

خامساً : الدوريات العربية

- الفيرافاراخوفا ، المراسلات الدبلوماسية والمراسلات الشخصية المتعلقة بمسقط من خلال الوثائق التأريخية بأرشيف السياسة الخارجية لامبراطورية روسيا في موسكو لعام ١٩٠٢-١٩٠٥ ، مجلة الوثيقة ، البحرين ، مركز الوثائق التأريخية، العدد ٤٦ ، السنة ٢٣ ، جمادى الاولى ١٤٢٥هـ/يوليو (تموز) ٢٠٠٤م .
- بدر الدين عباس الخصوصي ، الخليج العربي والمطامع الاستعمارية ، مجلة كلية الآداب والتربية ، العددان الثالث والرابع ، جامعة الكويت ، حزيران (يونيو) ١٩٧٣ – جمادى الاولى ١٣٩٣ – كانون الاول (ديسمبر) ١٩٧٣ – ذو القعدة ١٣٩٣ .
- _____، النشاط الروسي في الخليج العربي (١٨٨٧-١٩٠٧) مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية ، جامعة الكويت ، العدد ١٨ ، السنة ٥، نيسان (ابريل) ١٩٧٩ – ربيع الثاني ١٣٩٩ .
- عباس ياسر الزيدي ، القوى الاستعمارية والخليج العربي ١٦٠٠-١٩١٤، مجلة المؤرخ العربي ، بغداد ، الامانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب ، العدد ١٢، ١٩٨٠ .
- عبد الجبار عطيوي جاسم ، ملاحظات حول تغلغل اساليب النفوذ الاوربي في الخليج العربي قبل الحرب العالمية الاولى ، مجلة الخليج العربي ، مركز دراسات الخليج العربي – جامعة البصرة ، العدد ١٠ ، ١٩٧٨ .
- علي ابا حسين ، ب.ك. نارين ، لمحة في بعض الوثائق التأريخية حول العوامل المؤثرة على المصالح الاقتصادية البريطانية في الخليج العربي ، مجلة الوثيقة ، العدد ١٣ ، السنة ٧ ، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م .
- مصطفى عبد القادر النجار ، العلاقات الدولية لروسيا والاتحاد السوفيتي بالخليج العربي، مجلة الخليج العربي ، العدد ٢ ، ١٩٧٥ .

- نوري عبد البخيت ، الصراع بين روسيا وبريطانيا حول فارس والخليج العربي في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين ، مجلة الخليج العربي، العدد ٦ ، ١٩٧٦ .
- يفجيني سيدوروف ، تأريخ العلاقات السياسية والدبلوماسية الروسية بدول المنطقة ، مجلة الوثيقة ، البحرين العدد ٣٢ ، السنة ١٦، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

سادساً : **الدوريات الاجنبية**

-Yu.Petrosyan; The Ottoman Empire and Russia in the Nineteenth Century, Al-Watheekat, Issue No. 50, 25 the Year, Jumada II 1427, Jul. 2006 .